@ 259 @ الحق قصا ، قطع به معاذيرهم ، وانقطعت له حجتهم . ليهلك من هلك عن بينة ، ويحيا من حي عن بينة . ! 2 2 ! بين عباده ، في الدنيا والآخرة فيفصل بينهم فصلا ، يحمده عليه ، حتى من قضى عليه ، ووجه الحق نحوه . ! 2 2 ! للمستعجلين بالعذاب ، جهلا وعنادا وظلما . ! 2 2 ! فأوقعته بكم ، ولا خير لكم في ذلك . ولكن الأمر ، عند الحليم الصبور ، الذي يعصيه العاصون ، ويتجرأ عليه المتجرئون ، وهو يعافيهم ، ويرزقهم ، ويسدي إليهم نعمه ، الظاهرة والباطنة . ! 2 2 ! لا يخفى عليه من أحوالهم شيء ، فيمهلهم ولا يهملهم . 2 ! 2 ! هذه الآية العظيمة ، من أعظم الآيات تفصيلا ، لعلمه المحيط ، وأنه شامل للغيوب كلها ، التي يطلع منها ما شاء من خلقه . وكثير منها طوى علمه عن الملائكة المقربين ، والأنبياء المرسلين ، فضلا عن غيرهم من العالمين . وأنه يعلم ما في البراري والقفار ، من الحيوانات ، والأشجار ، والرمال والحصى ، والتراب . وما في البحار ، من حيوانات ، ومعادنها ، وصيدها ، وغير ذلك ، مما تحتويه أرجاؤها ، ويشتمل عليه ماؤها . ! 2 2 ! من أشجار البر والبحر ، والبلدان والقفر ، والدنيا والآخرة ، إلا يعلمها . ! 2 2 ! من حبوب الثمار والزروع ، وحبوب البذور التي يبذرها الخلق ؛ وبذرو النباتات البرية التي ينشىء منها أصناف النباتات . ! 2 2 ! هذا عموم بعد خصوص ! 2 2 ! وهو اللوح المحفوظ ، قد حواها ، واشتمل عليها . وبعض هذا المذكور ، يبهر عقول العقلاء ، ويذهل أفئدة النبلاء . فدل هذا على عظمة الرب العظيم وسعته ، في أوصافه كلها . وأن الخلق من أولهم إلى آخرهم لو اجتمعوا على أن يحيطوا ببعض صفاته ، لم يكن لهم قدرة ، ولا وسع في ذلك . فتبارك الرب العظيم ، الواسع العليم ، الحميد المجيد ، الشهيد المحيط . وجل من إله ، لا يحصي أحد ثناء عليه ، بل هو كما أثنى على نفسه ، وفوق ما يثني عليه عباده . فهذه الآية ، دلت على علمه المحيط بجميع الأشياء ، وكتابه المحيط ، بجميع الحوادث . ^ (وهو الذي يتوفاكم بالليل ويعلم ما جرحتم بالنهار ثم يبعثكم فيه ليقضى أجل مسمى ثم إليه مرجعكم ثم ينبئكم بما كنتم تعملون * وهو القاهر فوق عباده ويرسل عليكم حفظة حتى إذا جآء أحدكم الموت توفته رسلنا وهم لا يفرطون * ثم ردوا إلى ا مولاهم الحق ألا له الحكم وهو أسرع الحاسبين * قل من ينجيكم من ظلمات البر والبحر تدعونه تضرعا وخفية لئن أنجانا من ه ذه لنكونن من الشاكرين) ^ هذا كله ، تقرير لإلهيته ، واحتجاج على المشركين به ، وبيان أنه تعالى المستحق للحب والتعظيم ، والإجلال والإكرام . فأخبر أنه وحده ، المتفرد بتدبير عباده ، في يقظتهم ومنامهم ، وأنه يتوفاهم بالليل ، وفاة النوم ، فتهدأ حركاتهم ، وتستريح أبدانهم

. ويبعثهم في اليقظة من نومهم ، ليتصرفوا في مصالحهم الدينية والدنيوية . وهو تعالى يعلم ما جرحوا وما كسبوا من تلك الأعمال . ثم لا يزال تعالى هكذا ، يتصرف فيهم ، حتى يستوفوا آجالهم . فيقضي بهذا التدبير ، أجل مسمى ، وهو : أجل الحياة ، وأجل آخر فيما بعد ذلك ، وهو البعث بعد الموت ، ولهذا قال : ! 2 2 ! لا إلى غيره ! 2 2 ! من خير وشر 2 ! . 2 ! تعالى ! 2 2 ! ينفذ فيهم إرادته الشاملة ، ومشيئته العامة . فليسوا يملكون من الأمر شيئا ، ولا يتحركون ، ولا يسكنون إلا بإذنه . ومع ذلك ، فقد وكل بالعباد ، حفظة من الملائكة ، يحفظون عليه ما عمل كما قال تعالى : ! 22 ! . ! 2 2 ! . فهذا حفظه لهم في حال الحياة . ! 2 2 ! أي : الملائكة الموكلون بقبض الأرواح . ! 2 2 ! في ذلك ، فلا يزيدون ساعة مما قدره ا وقضاه ، ولا ينقصون ، ولا ينفذون من ذلك ، إلا بحسب المراسيم الإلهية ، والتقادير الربانية . ^ (ثم) ^ بعد الموت والحياة البرزخية ، وما فيها من الخير والشر ! 2 2 ! أي : الذي تولاهم بحكمه القدري ، فنفذ فيهم ما شاء من أنواع التدبير . ثم تولاهم بأمره ونهيه ، وأرسل إليهم الرسل ، وأنزل عليهم الكتب . ثم ردوا إليه ليتولى الحكم فيهم بالجزاء ، ويثيبهم على ما عملوا من الخيرات ، ويعاقبهم على الشرور والسيئات ، ولهذا قال : ! 2 2 ! وحده لا شريك له ! 2 2 ! لكمال علمه وحفظه لأعمالهم ، بما أثبته في اللوح المحفوظ ، ثم أثبته ملائكته في الكتاب ، الذي بأيديهم . فإذا كان تعالى هو المنفرد بالخلق والتدبير ، وهو القاهر فوق عباده ، وقد اعتنى بهم كل الاعتناء ، في جميع أحوالهم وهو الذي له الحكم القدري ، والحكم الشرعي ، والحكم الجزائي ، فأين للمشركين ، العدول عن من هذا وصفه ونعته ، إلى عبادة من ليس له من الأمر شيء ، ولا عنده مثقال ذرة من النفع ، ولا له قدرة وإرادة ؟ أما وا لو علموا حلم ا عليهم ، وعفوه ورحمته بهم ، وهم يبارزونه بالشرك والكفران ، ويتجرأون على عظمته بالإفك والبهتان ، وهو يعافيهم